إعجاز تاريخي في سورة يوسف عليه السلام

هذه الدراسة مستلة من بحثنا حول علاقة سورة يوسف بحادث الهجرة النبوية الشريفة وفيها نفرق بين الملك وفرعون، فعند الحديث في القرآن الكريم عن يوسف عليه السلام كان الخطاب عند الملك، في حين كان الخطاب مع موسى عليه السلام عند فرعون.

وكان النص القرآني صريحاً كالآتي:

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ ﴾

فمن هو هذا الملك وما اسمه؟..

اهتم حكام الدولة القديمة ببناء الأهرامات، وإقامة المعابد، ونحت التماثيل،ويطلق عليهم الفراعين، على عكس حكام الدولة الوسطى الذين اهتموا بالمشروعات التي تعود على جميع أفراد الشعب بالخير والرخاء، مثل مشروعات الري والاهتمام بالزراعة والتجارة، والنهوض بالبلاد نهضة شاملة في جميع نواحيها ويطلق عليهم الملوك.

أشهر ملوك الدولة الوسطى وإنجازاتهم

١ – الملك منتوحتب الثانى

هو مؤسس الأسرة الحادية عشرة، اتخذ موطنه "طيبة" عاصمة لمملكته، وإليه يرجع الفضل في نهضة البلاد، وإعادة الوحدة إليها، ونشر الأمن والقضاء على الفتن. لهذا قدره المصريون القدماء، وصوروه بجانب الملك مينا موحد القطرين، والملك "أحمس" قاهر الهكسوس ومؤسس الدولة الحديثة.

٢ – الملك إمنمحات الأول

كان "إمنمحات الأول" وزيراً لآخر ملوك الأسرة الحادية عشرة، ولما مات الملك دون وريث، أعلن "إمنمحات" نفسه ملكاً على مصر، وبذل جهداً كبيراً لإخضاع حكام الأقاليم لسلطانه، كما اتخذ عاصمة جديدة في موقع متوسط بين الوجهين القبلي والبحري هي "إثيت تاوى" ومعناها القابضة على الأرضين، ومكانها حالياً قرية "اللشت" جنوب مدينة "العياط" بمحافظة الجيزة. قضى "إمنمحات الأول" على غارات الآسيويين والليبيين على أطراف الدلتا، ونجح في تأديب العصاة في بلاد النوبة.

٣ – الملك سنوسرت الثالث Senusret III

من أهم ملوك الأسرة الثانية عشرة، ونظراً لقدرته الإدارية والعسكرية، قاد الحملات بنفسه إلى بلاد النوبة، وأقام بها سلسلة من الحصون أهمها قلعتا "سمنة وقمنة" فيما وراء الجندل الثانى على حدود مصر الجنوبية عند "وادي حلفا"، ومدّ حدود مصر إلى ما وراء حدود آبائه، وزاد فيها، وناشد خلفاءه أن يحافظوا على تلك الحدود:

"إن من يحافظ من أبنائي على هذه الحدود التي أقمتها فإنه ابني وولدي ... وإنه لأشبهه بالابن الذي حمى أباه والذي حفظ حدود من أعقبه ...، أما الذي يهملها ولا يحارب من أجلها فلـيس بابني ولم يولد منى..." – من نقش للملك "سنوسرت الثالث" على أحد النصب التي أقامها فـي بلاد النوبة.

أمر الملك "سنوسرت الثالث" بحفر قناة في شرق الدلتا تصل بين أقصى فروع النيـل شـرقاً، وخليج السويس،وهى أقدم اتصال مـائي بـين البحرين الأحمـر والمتوسـط، وقـد سـماها الإغريق "قناة سيزوستريس" نسبة إلى الملـك "سنوسرت الثالث".

ومن الفوائد التي عادت على البلاد من حفـر "قناة سيزوستريس" ازدياد النـشاط التجـاري وتوثيق الصلات التجارية بين مـصر وبـلاد "بونت" (الصومال الحالية)، وأيـضاً ازديـاد النشاط التجاري بين مصر وبلاد الشام، وجزر البحر المتوسط، مثل كريت وقبرص.

٤ – الملك إمنمحات الثالث Amenemhet III

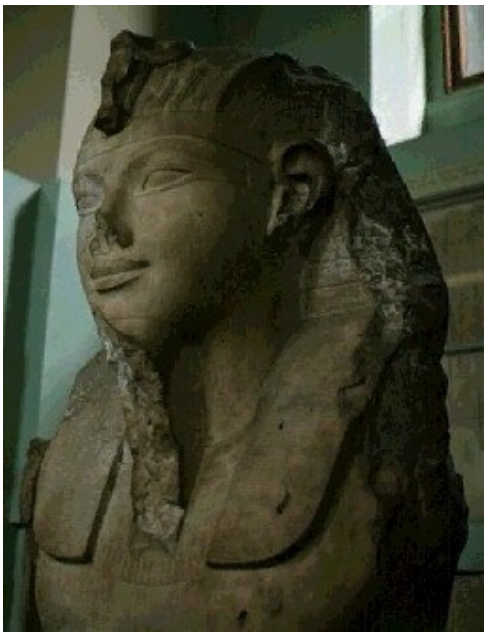

تمثال من الجرانيت للملك "أمنمحات الثالث"، وهو معروض بالمتحف البريطاني في لندن

وجه الملك "إمنمحات الثالث" (من ملوك الأسرة الثانية عشرة) جهده للتنمية واستثمار موارد البلاد الطبيعية، وارتبط اسمه بعمله العظيم في منطقة الفيوم، إذ بنى سداً لحجز المياه عند "اللاهون" أنقذ به مساحة كبيرة من الأراضي كانت ضائعة في مياه الفيضان، وأضافها إلى المساحة المزروعة في مصر، وقد عرف هذا السد فيما بعد بـ"سد اللاهون".

كما أقام الملك "إمنمحات الثالث" مقياساً في الجنوب عند قلعة "سمنة" للتعرف على ارتفاع الفيضان، والذي كان يتم على أساسه تقدير الضرائب، وبنى هرمه الشهير عند بلدة "هوارة" بالفيوم، وأقام معبداً ضخماً أطلق عليه فيما بعد "قصر التيه" لتعدد حجراته، حيث كان من الصعب على الزائر الخروج منه بعد دخوله.

كتب المؤرخ اليوناني "هيرودوت" يصف قصر التيه:

"إنه يفوق الوصف، يتكون من ١٢ بهواً، ومن ٣ آلاف غرفة، نصفها تحت الأرض، ونصفها الآخر فوقها، والغرف العليا تفوق ما أخرجه الإنسان من آثار، إذ أن سقوفها كلها قد شيدت من الأحجار، ويحيط بكل بهو أعمدة مصنوعة من الأحجار البيضاء ...".

عصر الاضمحلال الثاني (١٧٧٨-١٥٧٠ ق.م)

الأسرات ١٣-١٧

نهاية الدولة الوسطى

كانت نهاية الدولة الوسطى شبيهة إلى حد كبير بنهاية الدولة القديمة، فبعد وفاة الملك "إمنمحات الثالث" ضعفت قوة فرعون، وبدأ الصراع بين حكام الأقاليم، وحلت الفوضى، وعادت البلاد إلى التفكك، وسقطت البلاد فريسة في يد الأجانب، فقد دخلتها قبائل من البدو أتوا من غرب آسيا يعرفون باسم "الهكسوس" احتلوا شمالها ووسطها، وظلوا بها قرنين من الزمان.

يقول المؤرخ المصري "مانيتون" عن أسباب سقوط مصر في أيدي الهكسوس:

"إن الرعاة قد استولوا على مصر في سهولة، واجتاحوها في غير حرب، لأن المصريين كانوا يومئذ في ثورة واضطراب ...".

غزو الهكسوس لمصر

من هم الهكسوس؟ الهكسوس في اللغة المصرية القديمة معناها "حكام البلاد الأجنبية"، وهم قبائل بدوية آسيوية، جاءت من فلسطين، وأسماهم المصريون الرعاة، لأنهم اغتصبوا بلادهم

دون حق. تسللت تلك القبائل إلى شرق الدلتا، واستقرت في مدينة "أواريس" ("صان الحجر " قرب مدينة الزقازيق الآن) واتخذتها عاصمة، وواصلت زحفها جنوباً حتى احتلت مدينة "منف"، ومصر الوسطى. وفى الوقت نفسه سيطر النوبيون على الجزء الجنوبي من البلاد، ولم يبق مستقلاً سوى جزء يحكمه أمراء طيبة.

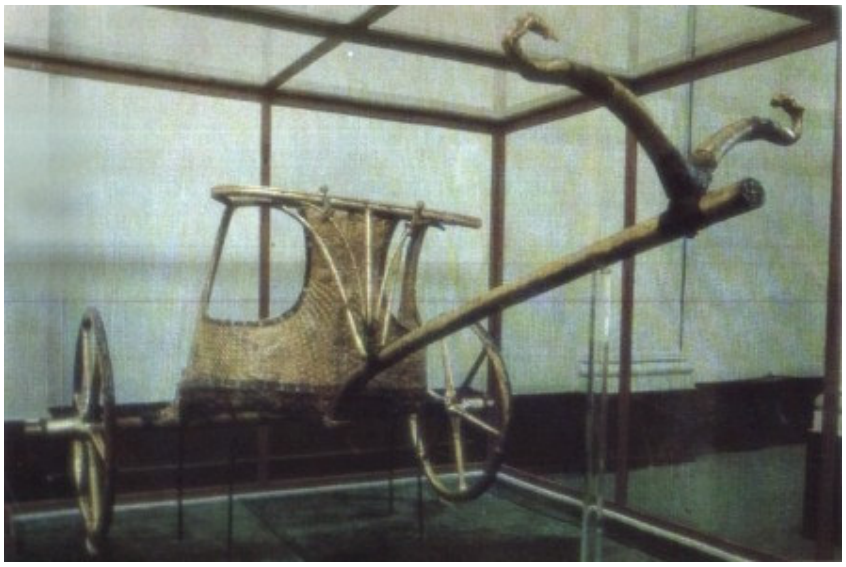

العربة التي أدخلها الهكسوس في مصر واستخدمت كسلاح مركبات في الحرب.

ومن الأسباب التي ساعدت الهكسوس على احتلال مصر بسهولة:

اضطراب الأحوال في مصر بسبب الفوضى وضعف الحكام، وتفوق الهكسوس نتيجة كثرتهم العددية، ومهارتهم في فنون القتال، فقد كانوا يستخدمون الخيول والعجلات الحربية التي تجرها الخيول، والسيوف والأقواس البعيدة المدى، وهى أسلحة لم يعرفها المصريون من قبل.

موقف الهكسوس من المصريين وموقف المصريين منهم

أساء الهكسوس معاملة المصريين، فأحرقوا المدن والقرى، بغير رحمة، وهدموا المعابد، وذبحوا بعض السكان، واجبروا المصريين على دفع ضرائب جديدة، وشيدوا القلاع والحصون.

وبمرور الزمن، تأثر الهكسوس بالحضارة المصرية، فتمصروا وقلدوا الفراعنة في أسمائهم وأزيائهم وتقاليدهم، وتكلموا اللغة المصرية، واعتنقوا ديانة المصريين.

لم يطمئن المصريون القدماء للهكسوس، وظلوا يكرهون حكمهم، وينظرون إليهم نظرة احتقار لأنهم سلبوهم استقلال بلادهم وحرية وطنهم، وأخذت تقوى الروح الوطنية بين المصريين مع الأيام، وصمموا على طرد الهكسوس وتحرير الوطن.

كفاح المصريين ضد الهكسوس

قاد أمراء طيبة الكفاح ضد الهكسوس، بعد أن بسطوا سيطرتهم على صعيد مصر وأسسوا الأسرة السابعة عشر، وعندما خاف الهكسوس من ازدياد قوة المصريين، رأى ملكهم أن يستفز أمير طيبة، وأرسل إليه رسولاً يقول له:

"أسكتوا أفراس الماء في البحيرة الشرقية بطيبة، فضجيجها يحرمني من النوم نهاري وليلى، وأصواتها تطن في مسامع مدينتي".

كان هذا الطلب غريباً وخاصة إذا علمنا أن "طيبة" تبعد عن "أواريس" بمئات الكيلومترات، ولكن الذي كان يقلق ملك الهكسوس هو نشاط "سقنن رع" أمير طيبة ورجاله.

رفض أمير طيبة هذا الطلب الغريب، وقامت الحرب بين الهكسوس وإمارة طيبة، سقط خلالها "سقنن رع" شهيداً على أرض المعركة، فكان "سقنن رع" أول حاكم يستشهد في سبيل تحرير وطنه، وخلفه ابنه "كاموزة" في قيادة الكفاح ضد الغزاة، وكانت أمه العظيمة "أياح حتب" تشجعه إلى أن استشهد كذلك في معركة الحرية.

أحمس وطرد الهكسوس

دعت "أياح حتب" ابنها الثانى "أحمس" لقيادة شعبه الثائر، فأعد جيشاً قوياً مدرباً على فنون الحرب واستخدام العجلات الحربية (التي كان يستعملها الهكسوس)، وانضم إلى جيش التحرير الكثير من المواطنين.

زحف "أحمس" إلى الشمال، وشدّد الهجوم على الهكسوس في عاصمتهم "أواريس" حتى دخلها، وظل يطاردهم عبر شمال سيناء حتى فلسطين، وتشتت شملهم عند حصن "شاروهين" ولم يظهر اسمهم بعد ذلك في التاريخ.

عاد "أحمس" إلى وطنه منتصراً، واستقبله شعب مصر استقبالاً رائعاً، وبذلك انتهت من تاريخ مصر فترة احتلال أجنبي بغيض، وبدأت فترة جديدة من المجد والفخار بقيام عصر الدولة الحديثة.

الملك "أحمس الأول" مؤسس الأسرة ١٨ (بداية عصر الدولة الحديثة).

فراعين مصر

ربما أُعتقد أن لقب (فرعون) بلغة مصر القديمة قد نُعت به جميع ملوك مصر منذ القدم، إذ قد يُفهم من الآية الكريمة ص/١٢:

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ ﴾.

أن فرعون ذي الأوتاد قديم قدم عاد وثمود ، والأوتاد هي الأهرام، وبذلك فالفرعون بالآية سابق لعصر الهكسوس، وليس هو نفس الفرعون المعاصر ليوسف عليه السلام.

ولمّا لم يُشر القرآن،في قصة يوسف عليه السلام إلى لقب فرعون:

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ ﴾.يوسف /٥٤.

وقد يُعلّل ذلك أن يوسف عليه السلام كان معاصراً لملك أجنبي (من الهكسوس) ،وأنه لا يحقّ التسمّي بالفرعون إلا لملك محلي أمّا بعد طرد الأجانب،فقد جازت التسمية،حتى إذا أتى عصر موسى عليه السلام، كان ملك مصر محلياً يُخاطب بالفرعون كسابقيه ففي القصص/٣:

﴿ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ ﴾ .

وهذا هو تفسير المغفور له فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي.

ولكن هذا التفسير لا تؤيده نقوش مصر،والأرجح أن كلمة فرعون بالقرآن لا يقصد بها سوى الفرعون المعاصر للنبي موسى عليه السلام، ووصفه بذي الأوتاد ليس للأهرامات فحسب، ولكن لكثرة صروحه ومنشآته وعمائره وتماثيله الجبلية، لتعبده الناس.

وهو بعينه [رع موسى الثاني، (١٢٩٠/١٢٧٩ -١٢٢٤/١٢١٣ ق.م) ويكتب اسمه بالنقوش: رع مس س]، أشهر الفراعنة وأكبر بنّاء، إذ سطا على آثار سابقيه أو استخدمها ليبني صروحه وتماثيله هو، ولا يكاد يوجد أثر عمراني لمصر القديمة، سواء بناه أو اغتصبه، إلا وحفر عليه اسمه بعمق كي لا يُمحى.

وقد سجّل ابنه من بعده (بين سني حكمه:٢-٥) أنه دحر إسرائيل ولم يبق منهم بذرة، وبعيداً عن مصداقية الخبر، فإن النقش يُرجّح أن رع موسى الثاني هو الفرعون الغريق (لأن إسرائيل حسب النقش لم تعد بمصر، وتسكن نواحي فلسطين).

وعصر يوسف عليه السلام، الذي لعله في زمن الأسرة ١٢ (١٩٩١-١٧٨٦) ق.م، هو سابق لعصر ملوك الهكسوس (بداية حكمهم في أقدم تقدير ١٧٢٠ ق.م).

لمؤشرات عدّة منها:

١ــ معلوم أن يوسف عليه السلام قد وصل إلى عرش مصر، وعصره لا يبعد عن عصر أبيه خليل الله الذي قدّر المؤرخون أحدثه بحوالي ١٨٠٠-١٨٥٠ ق.م ،(وأرجعه البعض إلى ما قبل ٢٠٠٠ ق.م) ،بينما حكم الهكسوس لمصر لم يبدأ في أقدم تقدير له، إلا في حوالي ١٧٢٠ ق.م، وهذا قد لا يُرجّح تلاقي العصرين.

٢ــ نجد من ملوك الهكسوس (الأسرة الملكية ١٥ ،حُكْمهم: ١٦٧٤-١٥٦٧ ق.م):

يعقوب هر، ،وتابعيهم من (الأسرة المعاصرة ١٦،حكمهم ١٦٨٤-١٥٦٧ ق.م) :

يعقوب بعل، ويعقب عم (Yak bam).

كما [وردت أسماء أمكنة من عهدهم مثل (يوسف إيل)،]، مما قد يفيد التأثّر والانتماء للأصل الأسبق (يعقوب ويوسف عليهما السلام). كتاب (العرب واليهود في التاريخ ،د. أحمد سوسه).

٣ــ قد نفهم من القرآن صعوبة الدخول لمصر في عهد يعقوب عليه السلام:

﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ ﴾

يوسف/٦٧.

﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢١ ﴾ يوسف/٢١.

﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦ ﴾ يوسف/٥٦.

﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ يوسف/٩٩.

وقد أمر منثوحتب ٣ (من الأسرة ١١: ٢١٣٣-١٩٩١ ق.م) ولعل قبله خيتي ٣ (من الأسرة ١٠: ٢١٣٠-٢٠٤٠ ق.م) ، بالمبادرة في إقامة تحصينات حدود مصر الشرقية،ومعروف تاريخياً أن مصر في عهد الأسرة ١٢ ،قد شدّدت وعزّزت القلاع والتحصينات والنقاط لمراقبة وحراسة حدودها الشرقية كما لم يسبق من قبل.

وقد بنى مؤسس الأسرة، حائط الأمير الشهير، أو جدّد بنائه، لتعزيز ذلك.

ومن كتاب (هبة النيل، ايندلامونت ميدوكروفت):

[إمنمحات (مؤسس الأسرة ١٢) بنى سوراً مرتفعاً في شرق البلاد أمام طريق القوافل ووضع حراساً عليه يراقبون من أعلى السور كل ما يحدث في الناحية الأخرى وبذلك تعذر على أي متجول أن يدخل مصر أو حتى يطلب ماء لتشرب منه ماشيته].

وهذا مما قد يُرجّح أن يعقوب عليه السلام في تلك الفترة، وأنه ربما عنى تلك الأبواب (التحصينات ونقاط المراقبة العديدة لمنافذ شرق مصر).

٤ــ كان مؤسس الأسرة (١٢) قد اغتيل من جراء مؤامرة باغتته في القصر، نفّذها حرسه وخدمه، وقد قام ابنه من بعده بإعدام المتآمرين، ولعل في الآيات الكريمة إشارة إلى ذلك:

﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾يوسف/٣٦.

﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾ ﴾ يوسف/٤١.

ولفظ فتى ،قد يدل على العبيد والمماليك،فلعل الفتيين من خدم القصر ممن اتهموا بقتل الملك،وقد علمنا أن أحدهما ساقي الملك،وقد عفا الملك الجديد عن سنوحي،أشهر الفارّين، بعد أن قضى عمره في البدو،ولم يعد لمصر إلا في شيخوخته. ومن كتاب (موسوعة الفراعنة)، أنه خلال عصر الأسرة ١٢،وفي الفترة الثانية من حكم سنوسرت ٢: ١٨٩٧-١٨٧٨ ق.م ،

ورد ذكر (مكتب توزيع القوى البشرية ومكتب الخدمات الخاصة بالسجون، وكانا يختصان بإدارة شئون المساجين) .

٤ــ مع انهيار الأسرة التالية (١٣)،انهارت تحصينات منافذ الحدود الشرقية (وهي أساساً لمنع العامو) أو أُهملت، ودخل الأجانب (العامو) من شرق مصر أفواجاً،وقد استطاع آسيوي اسمه (خنجر) أن يملك مصر،خلال الأسرة ١٣، وعند نهاية هذه الأسرة (١٣)،أصبح غالب شرق الدلتا من الآسيويين (العامو)،وكذلك الأسر التالية (١٤، ١٥، ١٦) تكاد تكون من العامو (الهكسوس) أو خاضعة لملوكهم،حتى سُمّيت الدلتا بأرض العامو.

بينما قد يُفهم من سورة يوسف أن السيطرة والرقابة المصرية في عصر يوسف عليه السلام على طرق التجارة ومنافذها الشرقية ما زالت محكمة قوية منتظمة، وهذا يُرجّح أن زمن يوسف سابق لتلك الأوضاع.

٥ــ استمرت المجاعات منذ انهيار الدولة القديمة حتى بدايات الأسرة ١٢ ،وقد نقش أحد النبلاء في عهد الملك سنوسرت ١، خبر المجاعة.

ومن كتاب (المصريون،سايرل الدرد):

[في القرن ٢٠ ق.م،بدأ كل أمير يعزل مقاطعته من البقية الجائعة ،وعلى المسلات ظهر تفاخر الأمراء بإبقائهم رجالهم ومحاصيلهم وقطعانهم على قيد الحياة].

ثم امتاز عصر المملكة الوسطى (خاصة الأسرة ١٢) بالرخاء الاقتصادي الذي لم يسبق له مثيل في مصر حيث اهتم الملوك بشئون الزراعة والري فنظموا مياه النيل وأقاموا المقاييس عليه واعتنوا بالمشروعات الزراعية ، ويوسف عليه السلام له اليد الطولى أو الريادة في إنقاذ مصر من المجاعة، وفي إصلاح اقتصادها:

﴿ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥ ﴾ يوسف/٥٥.

وهذا يُرجّح أن دخول آل يعقوب مصر خلال عصر هذه الأسرة (١٢)، وليس بعدها.

ــ من كتاب (العملة وتاريخها، حسن محمود الشافعي):

[في مصر .. تتم عن طريق مقايضة السلع واتخذت القمح مقياساً للقيم وأداة للمبادلة إلى أن انتشرت المقايضات بالمعادن بأشكالها المختلفة في عهد الملك امنمحات ٣ كما ذكر البعض (الأسرة ١٢،حكمه: ١٨٤١-١٧٩٢) ق.م ، وكانت على شكل حلقات نحاسية وفضية وذهبية ذات أوزان معلومة مقدرة]،وقد تُشير لذلك الآية الكريمة:

﴿ وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ٢٠ ﴾

يوسف/٢٠.

حيث الدراهم قد تكون تلك العملات المصرية المعدنية (القطع الفضية) التي بدئ في استعمالها أثناء عصر هذه الأسرة (١٢)، فلعل عصر يوسف عليه السلام عموماً في زمن هذه الأسرة.

ــ من كتاب (العلاقات الحضارية في الوطن العربي خلال الألف الثاني ق.م ،د.سليمان سعدون البدر، د.عزالدين إسماعيل):
[يتبين من المصادر المصرية والفلسطينية وبخاصة المناظر والصور للدولة الوسطى أن النشاط الاقتصادي بين فلسطين ومصر لم يقتصر على تبادل العديد من السلع والمنتجات بل شمل أيضاً جلب الماشية من فلسطين لمصر ثم توقف كل نشاط تجاري وخارجي بين فلسطين ومصر بسبب الهكسوس].
بينما نعلم أنه في ولاية يوسف كانت العلاقات التجارية قائمة منتظمة،مما يؤيد أن عصر يوسف سابق لعصر ملوك الهكسوس.

ــ الإقطاع والتفكك كان قد بدأ منذ أواخر الأسرة ٥ (انتهت حوالي ٢٣٤٥ ق.م)،حيث ظهرت عائلات قوية توارثت الوزارات والمناصب الكبرى،وفي الأسرة ٦ كانت قد ضاعت هيبة الملك وقيل أن مؤسسها اغتاله الحرس،وبانتهاء الأسرة (٦) عمّت الفوضى، وتصرّف في البلاد حكام المدائن ،وأصبح حكام الأسر التالية (٧، ٨) ملوك ظلّ (يملكون ولا يحكمون) ،وانتشرت المجاعات وتكاثر الأجانب، وحاول الأمراء الهراقلة (الأسر:٩، ١٠) أن يملكوا البلاد، وحاولوا ومن بعدهم طرد (العامو) الذين اخترقوا الدلتا،ولكن انشطرت البلاد،ليوحدها مؤسس الأسرة ١١،وبعد موته حاقت المجاعات والكوارث بالبلاد، واستمرت سلطة أمراء الأقاليم الوراثيين عظيمة حتى منتصف عصر الأسرة ١٢ (أرشد وأقدر أسرة في تاريخ مصر القديمة)،التي استطاعت مصانعتهم ومراضاتهم ،حتى دانوا بالتبعية،وبعضهم ظل قوياً حتى ١٨٧٨ ق.م ، وأخيراً في عهد امنمحات ٣ (١٨٤٢-١٧٩٧ ق.م) عادت هيبة الملك ، وحلّ مكان النبلاء الإقطاعيين عمد محليون تسمّوا بألقابهم ، وغدت المدن خلال الأسرة ١٢ تحت إدارة مدير (عز مر) أي حاكم إداري، ولعل لفظ العزيز بالقرآن يدل عليه،سواء حكام الأقاليم (النبلاء) أو المدراء الإداريين للمدن.
وتدهور الوضع ثانية في الأسرة التالية (١٣) وسيطر الوزراء والحكام المحليون، وظهر ملوك الهكسوس (الأسرة ١٥) شمالاً،معاصرين أكثر من أسرة على حكم البلاد ،فاعتبروا الأسرة ١٣ بالجنوب مجرد أمراء،وتأمّروا على أمراء الأسر ١٤، ١٦،إلى أن بدأت الأسرة ١٧ (جنوب مصر) في منازعتهم ثم مقاتلتهم.
فيترجّح مما سبق من مؤشرات أن يوسف عليه السلام كان معاصراً للأسرة المصرية الثانية عشرة، وسابقاً لعصر الهكسوس.

وتسمّي أحد الملوك بالفرعون في مثل تلك الفترة المتشاكسة، يُعدّ أمراً مستحيلاً.
والهكسوس قد تلقبوا في نقوشهم بالألقاب الملكية المصرية،مما يضعّف إعراضهم عن التلقب بالفرعون إن جاز لغيرهم.

ولعل ملوك الهكسوس من ذرية آل يعقوب، وقد علمنا تمكين الله ليوسف بمصر:

﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ يوسف/١٠١.

﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَـٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ يوسف/١٠٠.

ولعل في هذه الآية الكريمة، إشارة لتملك بني إسرائيل على مصر:

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ المائدة/٢٠.

وسبب عدم تسمية القرآن لملك مصر زمن يوسف بالفرعون، ليس لأنه من الأجانب،ولكن لأن كل ملوك مصر حتى ذلك الحين لم يسبق أن خوطب أحدهم بالفرعون ،كما تنص وتسرد النقوش والوثائق المصرية.

بل أن عصر يوسف بالذات ،وما قبله وبعده (كما تقدّم بيانه) لا يمكن لملوك مصر فيه أن يتسمّوا بالفراعنة لقداسة اللقب بالنسبة لدينهم،فمنذ انهيار الدولة القديمة أو الأسرة السادسة،تملّك البلاد أمراء شتّى متناحرون، مما ألغى شخصية الملك أو أضاع هيبتها،بالإضافة للقحط الطويل والشديد بسبب انخفاضات النيل المتكررة في تلك الحقبة ،وانتشار الفوضى وغيره من الظروف التي لم تُضبط أو تُكبح إلا عبر الأسرة ١٢،وأن يُلقّب ملك بالفرعون في مثل تلك الأحوال المتنازعة،هو أمر أقرب للخيال منه للحقيقة.

وقد تعثّر كتبة اليهود والنصارى بسبب جهلهم لهذه الحقائق، فحرّفوا كتب الله الأولى، إذ نعتوا جميع ملوك مصر بالفراعنة، فمثلاً جعلوا ملك مصر بعهد إبراهيم فرعوناً، مثل:

تكوين/١٢:وَلَمَّا اقْتَرَبَ أَبْرَامُ مِنْ مِصْرَ .. رُؤَسَاءُ فِرْعَوْنَ.. إِلَى بَيْتِ فِرْعَوْنَ، فَأَحْسَنَ إِلَى أَبْرَامَ.. الرَّبَّ ابْتَلَى فِرْعَوْنَ... فَاسْتَدْعَى فِرْعَوْنُ أَبْرَامَ.. وَأَوْصَى فِرْعَوْنُ رِجَالَهُ بِأَبْرَامَ،.. [١٤-٢٠]. ومثله بعهد يوسف،تكوين ٤١: ١٤فَبَعَثَ فِرْعَوْنُ وَاسْتَدْعَى يُوسُفَ، .. وَمَثَّلَ أَمَامَ فِرْعَوْنَ. ١٥فَقَالَ فِرْعَوْنُ لِيُوسُفَ: ..فَأَجَابَ يُوسُفُ:..١٧فَقَالَ فِرْعَوْنُ لِيُوسُفَ ..

وعندما أتى موسى عليه السلام كان الملك المصري قد أصبح يُخاطب بالفرعون (بر-ع) أي (البيت العالي)، وتفصيله: (بر/فر =برء=بيت) ــ عا (عال/عظيم).

وقد حدث ذلك قبل عصر موسى عليه السلام بحوالي المأتي سنة أو يزيد.

والذي سنّ ذلك قيل هو إخناتون Thumosis IV (١٣٥٢-١٣٣٨) ق.م، وقيل سلفه الملك تحوت موسى Tuthmosis III فاتح الشام (تحتمس٣: ١٤٧٩ - ١٤٢٥) ق.م،كما استدل علماء الآثار من النقوش المصرية.

١ــ وتقول الموسوعة البريطانية أن لقب فرعون (البيت العظيم) استعمل كمرادف لملك مصر بالمملكة الحديثة، منذ الأسرة ١٨ (١٥٣٩ ق.م - ١٢٩٢) ق.م .

وعند الأسرة ٢٢ (٩٤٥-٧٣٠) ق.م كان قد أُقرّ كصفة احترام:

pharaoh: (from Egyptian per 'aa, "great house"), originally, the royal palace in ancient Egypt; the word came to be used as a synonym for the Egyptian king under the New Kingdom (starting in the 18th dynasty, 1539-1292 BC), and by the 22nd dynasty (c. 945-c. 730 BC) it had been adopted as an epithet of respect.ENCYCLOPIDIA BRITANNICA.

٢ــ وتقول موسوعة الشرق أن لقب فرعون بدأ استعماله للملك في الفترة (١٤٠٠- ٩٠٠) ق.م:

The term "pharaoh" was originally used for the place where the king resided, and is the be translated with "great house". Gradually the term came to be used for the king, probably this happened somewhere between 1400- 900 BC. ENCYCLOPIDIA of the Orient

٣ــ ومن كتاب [Western World A Brief History of the] ص ٢٦،يقول مؤلفه(Greer.H Thomas):

The king later called the pharaoh, a term that meant: Great House.

٤ــ وتقول موسوعة Encarta:يُرجع بعض المؤرخين تاريخ الإشارة للملك بلقب الفرعون منذ ١٤٠٠ ق.م، (قبيل عهد رعموسى ٢) والبعض الآخر منذ ٩٥٠ ق.م.

٥ــ وجاء في مؤلف جاردنر ،النحو المصري (ص ٧٥) ما مفاده:

[أنه منذ نهاية الأسرة ١٢ ، الاصطلاح كتب بر–ع ،ويقرأ [بر– ع :(عنخ، وسأ ،سنب)]،أي البيت العظيم: له الحياة والازدهار والصحة ،وظلّ دالاً على القصر.

وأول إشارة مؤكدة فيها لفظة (بر–ع) تدل على الملك كانت في رسالة إلى امنحتب ٤ (أخناتون)، موجّهة نحو:[بر–ع، (عنخ وسأ سنب)،نب (=الرب)].

ومنذ الأسرة ١٩، استعمل لفظ (فرعون) أحياناً كنفس استعمال (سموّه)، حيث نقرأ الفرعون فعل، الفرعون قال،..وأصبح الاصطلاح لقب احترام للملك، وأقدم إشارة دُمج فيها لفظ فرعون مع اسم الملك كان في عهد الأسرة ٢٢].

وهذا يفيد التطور التدريجي وأنه لابد قد سبق مخاطبة الملوك به.

As regards the term Pharaoh the facts are as follows .The Egyptian original pr aa (Great House) was used in the Old Kingdom as part of many phrases like (smr pr aa) = (courtier of the Great House) and clearly there referred to te palace itself or to the court and not to the person of the king .From the end of Dyn.XII onwards the term is written (pr aa ankh wda snb)= [Great House, may it (live ,prosper, be in health= l.p.h)] with the auspicious wish-formula ,but still it seems to mean only the palace. The earliest certain instance where (pr aa) refers actually to the king is in a letter to Amenophis IV (Akhenaten) ,which is addressed to (pr aa ankh wda snb, nb) = Pharaoh ,l.p.h. the Master. From Dyn.XIX onward it is used occasionally just as (His Majesty) might be used; we read Pharaoh went forth, Pharaoh said, etc.In other words the term has become a respectful designation for the king. Just as the head of the Ottoman government was termed the Sublime Porte .The final development was when a proper name was added to the title... The earliest Egyptian Example of this use is under one of the Shoshenks of Dyn.XXII.

٦ــ ويقول كولندر أن لفظ (فرعون) قد اتخذه ملوك المملكة الحديثة،للتعبير عن تلك الأشياء المتعلقة بالملك:

The palace was the headquarters for this bureaucracy of the king's, and it was called the per aa, or "Great House". From this word for the king's palace has come the word pharaoh, which is used by New Kingdom rulers to express those things relating to the king. Role of the Pharaoh in New Kingdom Egypt.Dr. V.G. Callender

٧ــ برــ عو البيت الكبير..أي كانت تشير للقصر الملكي ثم حدث خلال عصر تحتمس الثالث (١٤٧٩ – ١٤٢٥) ق.م (صار فرعوناً في ١٤٥٧ ق.م) أن الاصطلاح بدئ في إطلاقه على الملك نفسه.

وبالنسبة لأي ملك قبل أسرة ١٨، فإن استخدامنا للاصطلاح يعد بمثابة خطأ في تسلسل تواريخ الأحداث. (كتاب مصر الفراعنة،سير آلن جاردنر).

وقد جاء اللقب بصيغة (فرعه) في نقش أرامي أرسله أمير فينيقي أو فلسطيني لملك مصر،عثر عليه بمصر في سقّارة (منف) مؤرخ بين عامي (٦٠٥-٦٠٠) ق.م ،يقول:

[إلى مريء ملوكٍ (فرعه) ..،ص ١٦٨، (الكتابة من أقلام الساميين إلى الخط العربي ــ د.سيد فرج راشد)].

وبالمسند ألفاظ شبيهة: جام ٥٧٤: فرعْ (=فارع؟) ينهب ملك سبأ. جام ٦٠٣ : فرعْ بن مقرْ (=فارع بن مقار).جام ٧١٢: أشمس وأبشمر ومرثدأوم ويفرع أتنعن بنو برقْ.جام ٧٤٧: ريمن يردف وبنهو بنو يهفرع أغيمن. ويُحتمل أن تكون لفظة (فرعون:أصلها المصري=بر عا/بر عو) لغة في البراء،أبرهه،بُرعي،برح،فارع (أي من جذر :برأ)، وقد يكون أصل كلمة فرعون (فر=ال) من أصل أعيان (كبراء).

فالملك المصري بدأ ممثل عن السلطة الدينية وعن الآلهة (نائب،رسول،ابن) ثم أصبح في الدولة الحديثة هو السلطة الدينية وهو الآلهة، وقد بدأ ذلك منذ عهد والد أخناتون ثم ابنه،وبلغ ذروته لدى رعموسى الثاني، وهذا الأمر قد يفسّر بوضوح سبب تلقّب ملوك الدولة الحديثة بالفراعنة :

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ ﴾

غافر/٢٩.

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ القصص/٣٨.

﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾النازعات/١٧ــ ٢٤.

وادّعاء ملوك مصر في الدولة الحديثة ، من وافقهم من المؤرخين،أن الهكسوس (ومنهم بني إسرائيل) أجانب غير شرعيين، قد لا يقرّه القرآن، فالأرض لله يورثها لمن يشاء،وقد مكّن الله ليوسف عليه السلام بمصر، ووصل للعرش بطريقة شرعية وباختيار الملك وتعيينه، وآل

يعقوب وفدوا مصر واستوطنوها بإذن الملك وبإذن عزيز مصر النبي يوسف ،وكذلك قد نفهم من آي القرآن الكريم أن قوم موسى عليه السلام من أهل مصر:

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ القصص/٤.

فالفرعون قد جعل أهل الأرض (مصر) شيعاً،ثم استضعف طائفة (بنو إسرائيل) منهم (أي من أهل مصر).

وهامان نائب فرعون، لابد من ذكره، لعلاقته الوثيقة به، ولعله من تتحدث عنه هذه الآثار التي أوردها كتاب Pharaoh Triumphant the life and times of Ramesses II, K.A. Kitchen ، ونسخته العربية (رمسيس الثاني ،فرعون المجد والانتصار،ترجمة د.أحمد زهير أمين):

ص ٥٥: كان الشاب آمن (=هامن/هامان) ؟ ام اينت em inet Amen في مثل سن الأمير (=رمسيس ٢) ورفيق صباه ،فلما أصبح رمسيس نائبا للملك ووريثا للعرش أصبح الفتى بالتبعية رفيقه وتابعه ففتح له الطريق لمستقبل زاهر وهي ما تحقق فعلا. وكان لآمن ام اينت em inet Amen أقارب ذوو نفوذ منهم عمه [لعله منموسى، Minmose] كبير كهنة الإله مين والإلهة ايزيس بقفط (شمال طيبة) وقائد Commandant فيالق النوبة –أي الساعد الأيمن لنائب الملك في النوبة. ومنهم الفتى باكن خنسو [والده باسر وزير الجنوب وابن عم آمن ام اينت em inet Amen،ص ٢٤٢] مدرب الخيول الملكية الذي التحق بعد ذلك بالسلك الكهنوتي المستديم في خدمة آمون بطيبة [أصبح كبير كهنة آمون،ص ٢٤٢].

ص ٧٣: رقّى الملك رفيق طفولته آمن ام اينت em inet Amen إلى وظيفة قائد المركبات الملكية Royal Charioteer وناظر للخيل Super Intendent of Horse .

﴿ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ القصص/٦.

ص ٩٧: آمن ام اينت em inet Amen رفيق الفرعون القديم قد رقى إلى منصب رسول الملك لكل البلاد الأجنبية ويقول الرجل بهذه المناسبة موضحا طبيعة عمله الجديد : أرفع له (الفرعون) تقارير عن أحوال البلاد الأجنبية كلها.

[ص ١٩٩: وكانت أرقى وظائف الدولة هي وظيفة السفير (رسول الملك إلى كل البلاد الأجنبية) وكانت الترقية إليها قاصرة على كبار ضباط سلاح العربات الحربية].

ص ١٧٩: واختار الملك للمنصب [كبير كهنة آمون] الشاغر ون نفر Wennofer (مات سنة ٢٧) وهو والد رفيق طفولة رمسيس الثاني آمن ام اينت .وكان آمن ام اينت نفسه قد نقل من وظيفته العسكرية إلى الرمسيوم ليصبح مديراً لمشاريع الملك الأثرية هناك Chief of Works of All Royal Monument – ولا يزيد البعد بينه وبين أبيه كبير الكهنة بالكرنك عن عبور النهر إلى الضفة الأخرى من النيل .

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ القصص/٣٨.

(ذكر كتاب Ancient Egypt An Introduction to ،أن أقدم استعمال للطين الموقود بمصر كان معروفاً منذ الدولة الوسطى).

ص ١٩٢: ويرجع الفضل في صعود نجم باسر [paser ،وزير للجنوب بطيبة viceroy ،عم باسر كان قائد الفرق بالنوبة وبعده ابنه نخت مين (ابن عم باسر)] واختياره نائبا للملك (في النوبة) إلى عراقة أسرته، فابن عمه آمن ام اينت هو رفيق طفولة رمسيس الثاني .

ص ١٩٩: وكان من علية القوم من اتخذ من الخدمة العسكرية ذريعة للوثوب إلى الوظائف المدنية العليا ،وقد تعرفنا من هؤلاء على ..،وآمن ام اينت القائد بسلاح المركبات ثم ميليشيات المدجاي Chief of Medjay-Militia ، بعدها عين مديرا للمصانع (وزير صناعة) .

ص ٢٤٠: امنحتب.. لكنه كان ينتمي لأسرة ذات نفوذ هي أسرة آمن ام اينت قائد ميليشيات المدجاى الشهيرة.

ص ٢٤٢: حيث يحتل مين مس آخر منصب كبير كهنة مين وآيزيس والذي يمت هو الآخر بصلة قرابة إلى آمن ام اينت .

والسؤال الآن:

سيدي يا رسول الله من أنبأك هذا؟؟؟....

هذا والله ولي التوفيق

أعده لكم

المهندس

زهدي جمال الدين محمد